جامعة دمشق
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

جهود المفسرين في البحث البلاغي

«أبي عبيدة - الفراء - ابن قتيبة»

رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في الآداب قسم اللغة العربية

بإشراف الأستاذ الدكتور

مزيد إسماعيل نعيم

إعداد الطالبة

منيرة محمد فاعور

المكتب العربي للخدمات الجامعية
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

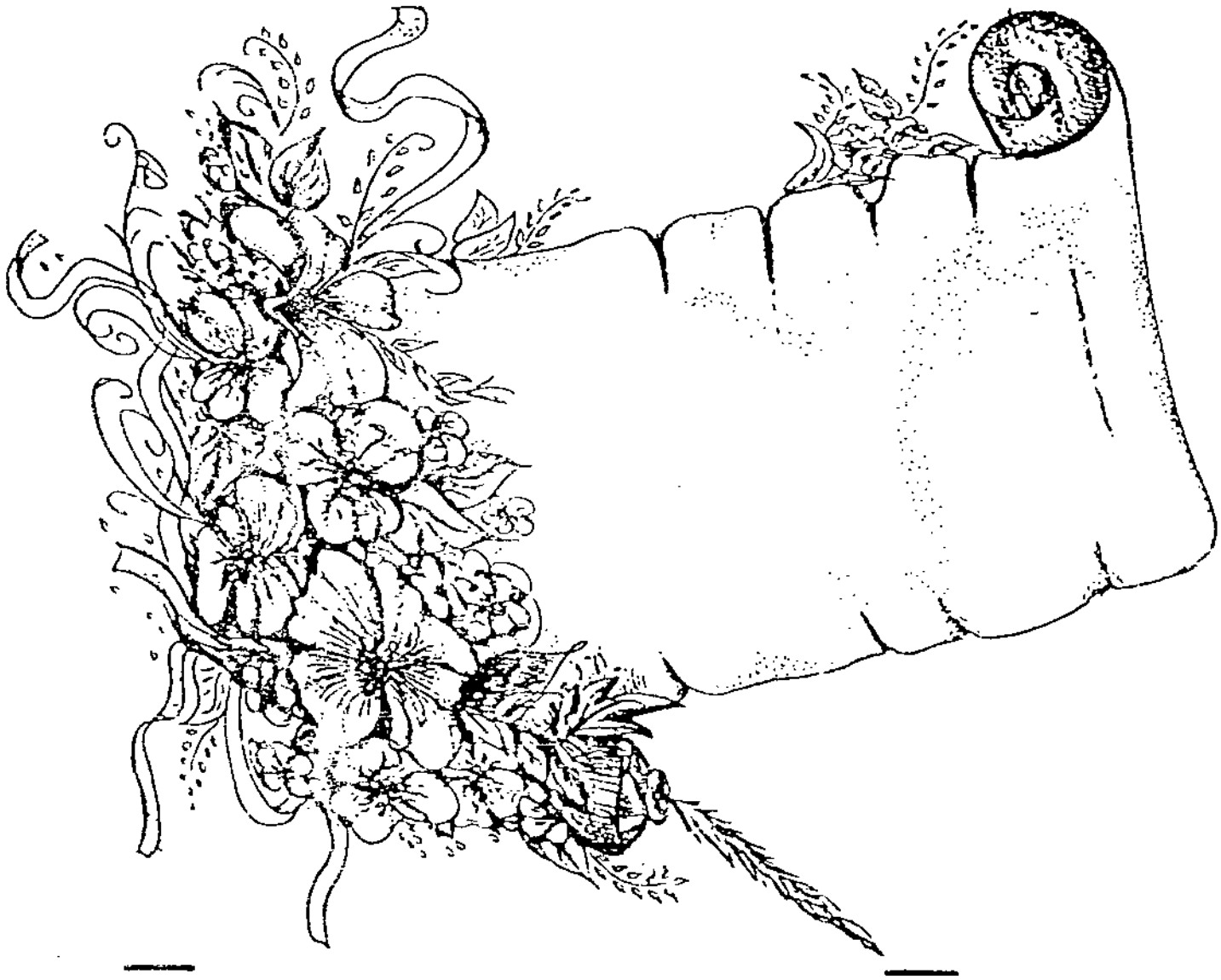

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

والصـــلاة والســـلام على سـيدنا محمد وعلى آلـه وصحـبه أجـمـعين وبعـــد،

فإنَّ المتتبع لتاريخ تطور البلاغة العربية يرى أنها نمت ثم ازدهرت، وضُبطت قواعدها، وحُدّدت مصطلحاتها في مراحل متتابعة . كان للمفسرين جهدٌ كبير فيها، إذ أثار القرآن الكريم انتباه العرب منذ اللحظة الأولى لنزوله، فحرّك مشاعرهم، واعترف المنصفون منهم بالعجز أمام بلاغته وبيانه، وصعوبة محاكاته؛ وبهذا غدا القرآن الكريم من أبرز العوامل التي ساعدت على انطلاق الدراسات البلاغية، وأصبح القطب الذي تدور حوله مختلف الجهود الفكرية التي ساعدت على ظهور البحث البلاغي؛ وهذا ما قادني إلى ضرورة بحث جهود هؤلاء المفسرين، فتبينت أنَّ فيها مادةً بلاغيةً قيّمةً كان لها دورها في نشأة البلاغة العربية.

وشـدني البـحث إلى الوقوف عند ماكتبه أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى في كتابيه«النقائض» و «مجازالقرآن» اللذين يمثلان مرحلة مهمة من مراحل نشوء البحث البلاغي وتطوره في وقت لم تكن فيه مصطلحات البلاغة قد حُدّدت بعد، فقد كانت العلوم والفنون وقتئذ متداخلة، متناثرة، يصبُّ بعضها في بعض، ويُثري بعضها بعضاً، وما كانت الجهود التي تبذل في اللغة، والنحو، والبلاغة، والتفسير إلاّ لغاية أولى، هي بيان إعجاز القرآن ، وجمال تعابيره وصوره، لهذا سعيت إلى جمع هذه الدررالبلاغية المنثورة في ثنايا تفسير أبي عبيدة لآيات القرآن الكريم، وشرحه الأمثلة والتطبيقات من كلام العرب شعرها ونثرها.

واقتضت طبيعة البحث تتبع تطور البلاغة العربية عند الفراء الذي جاءت جهوده مكمّلة لجهود أبي عبيدة، وكان كتابه «معاني القرآن» من أهم مؤلفاته في هذا المجال ؛ لوقوفه فيه على أوجه الإعراب والمعاني التي تُفهم من ألفاظه وتراكيبه، وفي أثناء ذلك كله برزت له ملاحظات بلاغية كان لها أثر كبير في نشأة علم البلاغة.

كما دفعتني ضرورة البحث إلى متابعة الدرس البلاغي عند ابن قتيبة، فرحت استقرىء النصوص في كتبه عامة ، وفي كتابه «تأويل مشكل القرآن » خاصة؛ فتبين لي ظهور مرحلة جديدة من مراحل تطور البلاغة العربية، قامت على التنظيم والتبويب في عرض الأساليب البلاغية ودراستها. ونتيجة لذلك لاحظت أن ابن قتيبة اعتمد اعتماداً كبيراً على آراء سابقيه، ولا سيما ماكان مشتركاً بينهم، إلاّ أنّه لم يقبل آراءهم كلها، وإنما أخذ منها ما أخذ ، وأضاف ما أضاف في محاولة لتطوير التفكير البلاغي في عصره.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد انتهجت في دراسة هذا الموضوع«المنهج الوصفي التحليلي»، الذي يقوم على جمع المادة واستقرائها من مصادرها، ثم عرضها وتحليلها، واستنباط الأحكام والنتائج منها. كما توخيت أن تسير أبواب هذا البحث وفصوله في تسلسل منطقي يسلم فيه السابق للاحق، ساعية إلى بيان جهودهم وجلاء مآثرهم ، والكشف عن أدق آرائهم .

ورأيت ـ تتميماً للفائدة ـ ضرورة التعريف بهؤلاء العلماء، لإعطاء صورة عن حياتهم، ومنزلتهم العلمية، ومعرفة بعض أخبارهم، وأشهر مصنفاتهم البلاغية.

واقتضى البحث أن أجعله في ثلاثة أبواب تسبقها مقدّمة، وتتلوها خاتمة.

جاء الباب الأول «جهود أبي عبيدة في البحث البلاغي » في فصلين ، تناولت في الفصل الأول منه مباحثه في علم المعاني، قَدّمت في بدايته تعريفاً مختصراً بالمبحث ، ثم رحت استعرض آراءه في بيان بعض أساليب الإنشاء؛ كالاستفهام والأمر وخروجهما عن أصل وضعهما، ثم تناولت أسلوب التقديم والتأخير فبيّنت آراءه، وحدّدت أنواعه عنده. عَرضتُ بعدها لأسلوب الخروج على مقتضى الظاهر؛ فدرست : القلب، والالتفات، والتغليب، واستعمال الفعل الماضي بمعنى المضارع. ثم تحدثت عن جهوده في دراسة أسلوب الفصل والوصل. تناولت بعدها أسلوب الحذف والإطناب وأغراضهما البلاغية، ثم ختمت هذا الفصل بدراسة الزيادة في الحروف، وأسرارها البلاغية عنده.

وفي الفصل الثاني رصدت جهوده في دراسة علم البيان؛ فتناولت أسلوب التشبيه والتمثيل عرضت من خلاله لمختلف آرائه وأنواعه،ثم درست أسلوب المجاز فقسمته قسمين، تناولت في القسم الأول المجاز المرسل، وفي الثاني المجاز العقلي. بعدها أبرزت دوره في تحديد معالم الاستعارة، والاستعارة التمثيلية،ثم ألحقت به مبحثاً آخر لدراسة أسلوب الكناية ومعانيها البلاغية واللغوية عنده.

أما الباب الثاني ، فقد خصصته لدراسة جهود الفراء في البحث البلاغي، فرأيت أنه أضاف كثيراً مما أغفله أبو عبيدة، كما علّل في مواضع كثيرة الأسباب التي وردت فيها المسائل البلاغية.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون هذا الباب في ثلاثة فصول: درست في الفصل الأول جهوده في علم المعاني؛ فعرضت فيه لأسلوب الإنشاء درست فيه نوعين من أنواعه: الاستفهام والأمر وخروجهما عن أصل وضعهما الى أغراض بلاغية واضحة ، ثم تناولت أسلوب التقديم والتأخير؛ فبيّنت فيه آراءه،وحدّدت أنواعه، ثم انتقلت بعد ذلك إلى دراسة أسلوب الخروج على مقتضى الظاهر؛ فتحدثت فيه عن الفنون البلاغية التي درسها مثل: القلب، والالتفات، والتغليب، والأنواع التي أضافها مثل الأسلوب الحكيم، واستعمال

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفعل المضارع بمعنى الماضي، ثم درست أسلوب الفصل والوصل؛ فبيّنت فيه أنواعه عنده، والخطوات التي خطاها في إبراز هذا اللون البلاغي المهم، ثم تحدثت عن أسلوب الإيجاز بالحذف؛ وضحت فيه مدى اهتمام الفراء بدراسته ، وتوسّعه في الإشارة إلى معظم أنواعه. بعدها تناولت أسلوب الإطناب ، فبيّنت الأغراض التي ذكرها ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى دراسة الزيادة في الحروف وأغراضها البلاغية عنده .

وأفردت الفصل الثاني ببيان جهوده في علم البيان ، فرأيت أن له إسهامات واضحة في دراسة أسلوب التشبيه ، لكنه لم يتجاوز أبا عبيدة. ثم درست أسلوب المجاز بقسميه المجاز المرسل والمجاز العقلي، ثم جعلت المبحث الثالث للاستعارة التي اختلطت عنده بأساليب بيانية أخرى، بعدها ختمت هذا الفصل بدراسة أسلوب الكناية؛ فبيّنت معانيها اللغوية والاصطلاحية عنده.

وفي الفصل الثالث تناولت جهوده في علم البديع ، فجعلته في ثلاثة مباحث ، تناولت في المبحث الأول أسلوب الفواصل القرآنية الذي يُعَدُّ الفراء رائداً من رواده، ثم تحدثت عن أسلوب المشاكلة، وألحقته بأسلوب التوجيه. وقد توخيت في نهاية كل مبحث وضع خاتمة أوجزت فيها مجمل آرائه، ألحقتها بمقارنة بينه وبين أبي عبيدة لنتبين مدى التطور الذي شارك فيه الفراء في البحث البلاغي.

وفي الباب الثالث جرى الحديث عن جهود ابن قتيبة في البحث البلاغي؛ فكان في ثلاثة فصول:

تناولت في الفصل الأول : جهوده في علم المعاني؛ عرضت فيه المادة البلاغية كما صنّفها وعرضها؛ فدرستُ أسلوب مطابقة الكلام لمقتضى الحال؛ ثم أسلوب الخروج على مقتضى الظاهر، بعدها تحدثت عن أسلوب القلب الذي أفرده ببحث مستقل جعلَ في خاتمته أسلوب التقديم والتأخير . وقد رأيت ضرورة إفراد مبحث مستقل بأسلوب التقديم والتأخير نظراً إلى أهميته، وكثرة الشواهد فيه. ثم تناولت أسلوب الإيجاز فرأيت أن هذا المفهوم بدأ يأخذ اتجاهاً بلاغياً واضحاً عن سابقَيْه، لما فيه من تفصيل وعرض لنوعي الإيجاز . ثم درست آراءه في أسلوب الإطناب، وأنواعه، وأغراضه البلاغية. بعد ذلك تحدثت عن زيادة الحروف وأنواعها ودواعيها.

ثم جعلت الفصل الثاني لدراسة جهوده في علم البيان ، فدرست فيه أسلوب التشبيه الذي لم يفرده ببحث مستقل في كتابه «تأويل مشكل القرآن » وقد علّلت سبب ذلك ، ثم انتقلت إلى أسلوب المجاز الذي أولاه ابن قتيبة اهتماما واضحاً؛ فبيّنت فيه آراءه، ودوره في مهاجمة الطاعنين على القرآن بالمجاز، ثم درست أسلوب الاستعارة، والخطوات التي خطاها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في رسم حدود واضحة لها، انتقلت بعدها إلى أسلوب الكناية والتعريض؛ فدرست فيها شواهده وآراءه وبينت مدى اختلاط مفهوم هذا الأسلوب بغيره من الأساليب البيانية الأخرى.

وفي الفصل الثالث درست جهوده في علم البديع، فرأيت أنّه تجاوز سابقَيْه في رصد بعض أساليب هذا الفن، فدرست عنده: حسن الابتداء ، والفواصل القرآنية ، والتوجيه، وتأكيد المدح بما يشبه الذم. وختمت هذا الباب بوقفة أجملت فيها أبرز النتائج التي انتهيت إليها.

أما مصادر بحثي ومراجعه، فكانت متنوعة، تراوحت بين القديم والحديث، وقد حاولت قدر الإمكان أن أُعمّق روابطي بأمّهات كتب التراث في البلاغة، والتفسير ،وغيرهما؛ فاستخلصت منها كل ما رأيت أنه يفيد بحثي ويعزّزه.

وبعد، فليتني أجد من الكلمات ما يفي حق أستاذي المشرف، الأستاذ، الدكتور مزيد نعيم الذي رافق هذا البحث مذ كان فكرة في الذهن حتى استوى على صورته هذه التي نراها اليوم، فكان بدماثة خلقه، وغزارة علمه وفطنته خير عون لي في بلوغ غايتي التي رمتها، وهدفي الذي صبوت إليه. فإن اعترى هذا البحث بعض النقص، واكتنفه شيء من الزلل؛ فعليَّ وزره، وإن صادف الرضا والقبول؛ فبعض من فضله ، وفيض من علمه، وحسن توجيهه؛ فكل الشكر لأياديه البيضاء التي أعدُّ منها ولاأعددها، واللهَ أسألُ أن يجزيه عني خير الجزاء، ويهبه من لدنه كل الخير والعطاء .

كما أتقدم بجزيل الشكر والامتنان للأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة الحكم الذين تجشموا عناء قراءة هذا العمل ،وقاموا بإسداء آرائهم وتوجيهاتهم بما يقوّم ويرفع من قيمته العلمية، وإني لأعِدهم أن أفيد من هذه الآراء ، وأعمل بها . فلهم مني وافرُ التقدير والاحترام.

واللَّهَ أسأل التوفيق

والحمد للّه ربّ العالمين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الأول

جهود أبي عبيدة في البحث البلاغي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبو عبيدة

هو مَعْمَرُ بن المُثَنّى، أبو عبيدة البَصْريّ، مَولىً بني تَيْم قريش[1]، المُتوفى بين سنتي ٢٠٨ - ٢١٣هـ[2]، وقد اختلفوا في تاريخ مولده، ولعل الأقرب إلى الصحة أنّه وُلد في سنة ١١٠هـ وهي سنة وفاة الحسن البصري[3]. ولم تذكر المراجع مكان ولادته، ومع ذلك فهي تضعه في عداد علماء البصرة لنفعله يكون ولد فيها.

بعيش حياة ليست بالقصيرة اكتمل فيها نضجه العلمي، ارتحل إلى بغداد أيام هارون الرشيد وقرأ عليه بها أشياء من كتبه[4]. وهو أول من صنف غريب الحديث. يقول الجاحظ: «لم يكن في الأرض خارجي أعلم بجميع العلوم منه»[5]. وله مصنفات كثيرة حتى قيل: إنها قاربت مئتي تصنيف[6].

وفي زمنه أخذت طبقة المثقفين الذين عرفوا اللغة العربية دراسة وتعلّماً على أيدي النحاة تدرس الأسلوب البياني للقرآن الكريم، وتحاول فهمه للوصول إلى معرفة وجوه إعجازه، ولكنهم لم يتمكّنوا من فهم بعض الصور البيانية، ومعنى بعض الآيات والألفاظ القرآنية[7]. وهذا ما يفسّر سبب تأليف أبي عبيدة لكتابه «مجاز القرآن» الذي قيل إنّه يتعلق بمسألة بيانية. فقد سأل بعض الكتّاب أبا عبيدة في مجلس الفضل بن الربيع عن قوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾[8]، وإنما يقع الوعد والإيعاد بما قد عُرف مثله. وهذا لم يُعرف. فردّ عليه أبو عبيدة بأنّ الله كلّمهم على قدر كلامهم، وذكر بيت امرئ القيس[9]:

أيقتُلُني والمَشْرفيُّ مُضاجعي ... وَمَسْنُونةٌ زُرقٌ كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قطّ. ومن ثمّ عزم على أن يضع كتاباً في القرآن لمثل هذا وأشباهه وما يُحتاج إليه من علمه[10].

---

(١) طبقات النحويين واللغويين / ١٧٥، الفهرست / ١٠٦، نزهة الألباء / ٨٠، تاريخ بغداد ١٣/ ٢٥٤، إنباه الرواة على أنباء النحاة ٣/ ٢٧٦، بغية الوعاة ٢/ ٢٩٤، معجم الأدباء ١٩/ ١٥٤.

(٢) اختلفت الآراء في تحديد سنة الوفاة ولكن المرجح، كما جاء في صدّت النحويين واللغويين ١٧٨، أنها سنة ٢١٠ أو ٢١١.

(٣) طبقات النحويين واللغويين / ١٧٨، وفيات الأعيان ٥/ ٢٤٢.

(٤) وفيات الأعيان ٥/ ٢٣٨، طبقات المفسرين ٢/ ٣٢٧.

(٥) البيان والتبيين ١/ ٣٤٧.

(٦) وفيات الأعيان ٥/ ٢٣٨، طبقات المفسرين ٢/ ٣٢٧.

(٧) قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة / ٩١.

(٨) الصافات / ٦٥.

(٩) ديوانه / ٣٣.

(١٠) إنباه الرواة ٣/ ٢٧٨، نزهة الألّباء / ١٠٧، تاريخ بغداد ١٣/ ٢٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يختر أبو عبيدة في دراسة «مجاز القرآن» على ترتيب السور، ولم يفسّر القرآن آيةً آية كما اعتاد المفسرون المتأخرون أن يفسروا. وإنّما تخيّر من الآيات ما أشكل فحسب، متّبعاً الترتيب التنازلي في القرآن، حيث يبدأ سورة الفاتحة ويثنّي بالبقرة، ثم النّساء، وهكذا حتى يأتي على تمام القرآن الكريم.

وكتابه في منهجه، شأنه شأن الكتب اللغوية المُبكّرة. كانت فيه الألوان النحوية، واللغوية، والبلاغية، وغير ذلك متداخلة متناثرة لا يجمعها تنظيم أو ترتيب. وقد أكثر أبوعبيدة من استعمال كلمة «المجاز» حتى أوهم بعضهم أنه كتاب في البلاغة[1]. فالمجاز عنده يأتي بمعنى التأويل، والتفسير، وهو الطريق الذي يتوصّل فيه إلى فهم القرآن الكريم وأساليبه التي لا تخرج عن طريقة العرب في التعبير. وهو أطلع أعمّ من المعنى الذي حدّده العلماء فيما بعد لكلمة «المجاز». ومع هذا فالكتاب يزخر بأنواع من الفنون البلاغية، كان لأبي عبيدة الفضل الكبير في الإشارة إليها، ودراستها. فهو - بحقّ - من الروّاد الأوائل في البحث البلاغي، ويُمثّل مرحلة من مراحل التطور البلاغي في وقت لم تكن فيه مصطلحات البلاغة قد حُدّدت بعد.

وإلى أبي عبيدة كتاب آخر لا يقلّ أهمية عن كتابه «مجاز القرآن» هو «نقائض جرير والفرزدق»، ومع أنّ السمة الغالبة عليه - كتاب في الشعر، وتاريخ العرب، والوقائع، والأيام فإن في الكتاب كثيراً مما يتعلق بالفنون البلاغية التي يَدْخل بعضها في علم المعاني، وبعضها في علم البيان.

(١) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ٢٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

علم المعاني

١- أسلوب الإنشاء:

أ - الاستفهام

ب - الأمر

٢- التقديم والتأخير

٣ - الخروج على مقتضى الظاهر:

أ - القلب.

ب - الالتفات

ج - التغليب

د - استعمال الفعل الماضي بمعنى المضارع

٤- الفصل والوصل

٥- إيجاز الحذف

٦- الإطناب

٧- حروف الزيادة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإنشاء

الإنشاء هو «كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته»[1]. وهذا التعريف هو ما اعتمد عليه القدماء حينما فَصَلوا بين الخبر[2] والإنشاء. قال القزويني: «ووجه الحصر أنّ الكلام إمّا خبر أو إنشاء، لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لاتطابقه، أو لا يكون لها خارج. الأول الخبر، والثاني الإنشاء»[3].

أقسامه:

الإنشاء ضربان:

١- «إنشاء طلبي: وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، لامتناع تحصيل الحاصل، وهو أنواع: الأمر، والنهي،والاستفهام، والتمني، والنداء.

٢- إنشاء غير طلبي: وهو مالايستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب. ومن هذا القسم: أفعال المقاربة، وأفعال الرجاء، والتعجب، والمدح، والذم، والقسم ،وصيغ العقود، والدّعاء»[4].

والبلاغيون لا يكادون يُلقون بالاً إلى القسم الثاني؛ لأنه لا تتعلق فيه مباحث بيانية، ولأن أكثر صيغه هي في الأصل أخبار نُقلت إلى معنى الإنشاء، وإنّما يقصرون بحثهم على القسم الأول، وهو الإنشاء الطلبي.

أ -الاستفهام

للاستفهام تعريفات كثيرة[5] تندرج في القول: إنّه طلب فهم شيء لم يكن معلوماً من قبلُ بأداة من إحدى أدواته، وهي الهمزة وهل، وهما حرفان. ومَنْ، ومتى، وما، وأيّان، وأين،

٤٧٩٩٦٣

(١) انظر الإشارات والتنبيهات/ ١٠٣.

(٢) الخبر: هو ما احتمل الصدق والكذب لذاته. والمراد بالصدق ما طابقت نسبة الكلام فيه الواقع. وبالكذب مالم تطابق نسبة الكلام فيه الواقع. أو أن الخبر لا يتوقف تحققه ووجوده على قول المتكلم. وللخبر أغراض وأضرب، انظر تفصيل ذلك في الصاحبي / ١٧٩، والإشارات والتنبيهات / ١٠٠، وشرح التلخيص للبابرتي / ١٦٤.

(٣) الإيضاح / ٨٥.

(٤) انظر المصدر السابق / ٢٢٧، وشرح التخليص للبابرتي / ٣٤٣، والبرهان في علوم القرآن ٢/ ٣١٦ ـ ٣١٧.

(٥) انظر تعريف الاستفهام في الصاحبي / ١٨١ وفيه فرق بينه وبين الاستخبار، وشرح التلخيص للبابرتي / ٣٤٦، والبرهان في علوم القرآن ٢/ ٣٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأنّى، وكيف، وكم، وأيّ، وهي أسماء.

وهذه الأدوات تنقسم بحسب الطلب ثلاثة أقسام:

١ـ ما يُطلب به التصور[١] والتصديق[٢]، وهو الهمزة.

٢ـ ما يُطلب به التصديق فحسب، وهو هل.

٣ـ ما يُطلب به التصور فحسب، وهو بقية الأدوات.

وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن أصل وضعها إلى أغراض تفهم من السياق. وأهم هذه الأغراض: التقرير، والإنكار، والتعجب، والتهويل، والتفخيم، والتهديد، والوعيد، والتسوية، والأمر، والترغيب، وغير ذلك[٣].

الاستفهام عند أبي عبيدة

تناول أبو عبيدة أسلوب الاستفهام في الكلام، فعرض لبعض أدواته، وفصّل القول في بعضها الآخر. وقد أدرك أن الاستفهام قد يخرج عن أصل معناه إلى أغراض بلاغية يستدل بها من السياق. لذلك عرّج على هذه الأغراض فذكرها، وفصّل القول فيها. فكانت عنده:

١ـ استفهام معناه الإخبار[٤]:

أدرك أبو عبيدة أن الاستفهام في قوله تعالى: ﴿إنَّ الذين كَفَرُوا سواءٌ عَلَيْهِم أأنذَرْتَهُمْ أَمْ لم تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنونَ﴾[٥] هو «إخبارٌ خرج مخرج الاستفهام». وهذا يعني أنّ أبا عبيدة أدرك حقيقة المعنى في الآية، فهي ليست استفهاماً محضاً، وإن كانت كذلك من حيث اللفظ، وإنما استفهام معناه الإخبار. ثم يضيف قائلاً: «وليس هذا إلا في ثلاثة مواضع، هذا أحدها،

(١) التصور: هو إدراك المفرد، أي تعيينه مثل: «أقام محمد أم قعد؟» والجواب عنه يكون بتحديد المفرد.

(٢) التصديق: هو إدراك النسبة، أي تعيينها، مثل: «أقام محمد؟» الجواب عنها يكون بـ «نعم» أو «لا». انظر تفصيل ذلك في مفتاح العلوم /٣٠٨، والإيضاح /٢٢٨، والإشارات والتنبيهات /١٠٣، والأساليب الإنشائية /١٤.

(٣) انظر هذه الأغراض وغيرها في الصاحبي /١٨١ ـ ١٨٣، والبرهان في علوم القرآن ٢/٣٢٨ ـ ٣٤٧، والإتقان في علوم القرآن ٣/ ٢٣٥ ـ ٢٣٩.

(٤) يقول الزركشي موضحاً هذا الأسلوب: «الاستفهام قسمان: بمعنى الخبر، وبمعنى الإنشاء، والأول ضربان: أحدهما نفي وإثبات، فالوارد للنفي يُسمّى استفهام إنكار، والوارد للإثبات يسمى استفهام تقرير، لأنه يطلب بالأول إنكار المخاطب، وبالثاني إقراره به. والثاني: قد يصحب الإنكار التكذيب للتعريض بأن المخاطب ادّعاه وقصد تكذيبه. البرهان في علوم القرآن ٢/٣٢٨ ـ ٣٣٠.

(٥) البقرة /٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والثاني: ما أبالي أقبلت أم أدبرت، والثالث: ما أدري أوَلَيت أم جاء فلان»[1]. ولا شك أن أبا عبيدة أراد من ذلك تحديد مواضع خروج الاستفهام بالهمزة عن معناه الحقيقي إلى معنى التسوية، فيصح في دخولها على جملة أن تقع مصدراً مؤولاً. وهذا المعنى يؤكده في تفسير قوله تعالى: ﴿وسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أأنذرتَهُم أم لم تُنذِرْهُمْ لا يؤمنون﴾[2]، إذ يقول: «لها ثلاثة مواضع، لفظها لفظ الاستفهام، وليس باستفهام. قال زهير[3]:

سـواءٌ عليـه أيَّ حيـنٍ أتيتَـهُ ... أساعـةَ نَحْـسٍ تُتقَـى أم بـأسْعُـدِ

وكذلك قول حسان بن ثابت[4]:

مـا أُبـالـي أنَـبَّ بـالحَـزْنِ تيـسٌ ... أم لحـانـي بظَهْـرِ غيـبٍ لئيـمُ

وكذلك قول زهير[5]:

ومـا أدري وسـوفَ إخـالُ ـ أدري ... أقـومٌ آلُ حِصْـنٍ أم نِسـاءُ[6]

يرى أبو عبيدة أن الاستفهام في الشواهد السابقة ليس استفهاماً محضاً، فهو إنشاء، أو استفهام من حيث اللفظ؛ لأن صيغة الاستفهام فيها من أقسام الإنشاء، وخبر من حيث المعنى؛ لأن معناه معروف لدى المخاطب بشيءٍ ثبت وتأكد عنده، لذلك خرج هذا التقرير، أو هذا الخبر بصورة الاستفهام؛ لأنه أوقع في النفس.

ويمكن القول: إن الاستفهام في الآيتين خرج عن أصل معناه إلى التسوية، لأنه يصح تقدير الفعل بحلول المصدر محله؛ فنقول «سواء عليهم إنذارك وعدمه..». وهذا ما يراه الزمخشري حين قال: «والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء، وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأساً. ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما؛ لأنه قد علم أنّ أحد الأمرين كائن، إمّا الإنذار وإمّا عدمه»[7]. وكذلك قال الزركشي[8]، وابن قاسم المرادي[9]، ومثله القول في الشواهد الشعرية.

(١) مجاز القرآن ١/ ٣١.
(٢) يس / ١٠.
(٣) ديوانه / ١٨٧.
(٤) ديوانه ١/ ٤٠، والكتاب ٣/ ١٨١.
(٥) ديوانه / ١٣٦، مغني اللبيب / ٦١ ، ٥١٣.
(٦) مجاز القرآن ٢/ ١٥٧ ـ ١٥٨.
(٧) الكشاف ١/ ٤٧ ـ ٤٨.
(٨) انظر البرهان في علوم القرآن ٢/ ٣٣٦.
(٩) الجنى الداني في حروف المعاني / ٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢-استفهام معناه التقرير[١]:

كذلك أدرك أبو عبيدة أنّ من أغراض الاستفهام أيضاً إقرار المخاطب بشيء ثَبت عنده. وقد جاء هذا التقرير بصورة الاستفهام، لأنه أوقع في النفس لما فيه من حجّةٍ دامغةٍ، واعتراف صريح من المخاطب.

يقول معقباً على قوله تعالى: ﴿أتَجعَلُ فيها من يُفْسِدُ فيها﴾[٢]: «جاءت على لفظ الاستفهام، والملائكة لم تستفهم ربَّها، وقد قال تبارك وتعالى: ﴿إنّي جاعِلٌ في الأرض خَليفة﴾[٣]، ولكن معناها معنى الإيجاب؛ أي إنك ستفعل، وقال جرير فأوجب ولم يستفهم لعبد الملك بن مروان[٤]:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المطايا ... وأَنْدى العالمينَ بُطُونَ راحِ

وتقول وأنت تضرب الغلام على الذنب: ألست الفاعل كذا؟ ليس باستفهام ولكن تقرير»[٥].

وبرأي أدرك أبو عبيدة أن الآية الكريمة لم تستفهم: أجعل أم لم يجعل، والله سبحانه وتعالى لا يريد جواباً، بل يريد أن يُقرَّ أمراً ثبت العلم به، وبذلك ينتزع اعترافاً منهم. فالتقرير هنا بمعنى التحقيق والتثبيت. ومثله القول في بيت جرير؛ لأنه لو كان على الاستفهام الحقيقي لم يكن مدحاً أبداً، ولو كان استفهاماً ما أعطاه عبد الملك مئة من الإبل برعاتها[٦].

وقد اختلفت الآراء في تحديد الغرض البلاغي من الاستفهام فذهب الزمخشري إلى أن في قوله تعالى «أتجعل فيها»: «تعجباً من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية ،وهو الحكيم الذي لا يفعل إلا الخير»[٧]. ورأى الزركشي أنه «استفهام يراد به الدعاء»[٨].

وهذا المعنى يؤكده أبو عبيدة عندما يفسر قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كان آباؤهم لا يَعْقِلون شيئاً﴾[٩] إذ يقول: «الألف ليست ألف الاستفهام أو الشك، إنما خرجت مخرج الاستفهام تقريراً بغير الاستفهام؛ أي: وإن كان آباؤهم»[١٠]. ويضيف معقّبا على قوله تعالى: ﴿أليس

---

(١) التقرير: هو «توثيق المخاطب على ما يعلم ثبوته أو نفيه نحو قوله تعالى. ﴿أأنت قلت للناس﴾ الجنى الداني / ٣٢.وله أقسام، انظر تفصيل ذلك في البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)/١٩١ ـ ١٩٣.

(٢) البقرة / ٣٠.

(٣) البقرة / ٣٠.

(٤) ديوانه / ٩٨.

(٥) مجاز القرآن ١/ ٣٥ ـ ٣٦.

(٦) المصدر السابق ١/ ١٨٤.

(٧) الكشاف ١/ ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٨) البرهان في علوم القرآن ٢/ ٣٤١.

(٩) البقرة / ١٧٠.

(١٠) مجاز القرآن ١/ ٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٣٨-النهاية في غريب الحديث والأثر: لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن الأثير ـ تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي – ط١ – دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٢٣٩-همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: لجلال الدين السيوطي تحقيق وشرح د.عبد العال سالم مكرم ـ دار البحوث العلمية – الكويت – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م. ونسخة أخرى بمؤسسة الرسالة ـ بيروت – ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

٢٤٠-الوساطة بَيْنَ المتنبي وخصومة: لعلي بن عبد العزيز الجرجاني – تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي – مطبعة عيسى البابي – القاهرة.

٢٤١-الوسيط في الأمثال لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي – تحقيق د. عفيف محمد عبد الرحمن – مؤسسة دار الكتب الثقافية ـ الكويت ـ ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٢٤٢-الوشاح على الشرح المختصر لتلخيص المفتاح: لمحمد الكرمي – إيران – المطبعة العلمية قم – ١٣٠١هـ.

٤٧٩٩٦٣

٢٤٣-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لشمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان – تحقيق د.إحسان عباس – دار صادر– بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الموضوعات

مقدمة ١

الباب الأول: *جهود أبي عبيدة في البحث البلاغي* ٥

الفصل الأول: علم المعاني ٨

- الإنشاء ٩

* الاستفهام ٩

*الأمر ١٦

- التقديم والتأخير ١٧

- الخروج على مقتضى الظاهر ٢٦

* القلب ٢٩

* الالتفات ٣٣

* التغليب ٤٠

* استعمال الفعل الماضي بمعنى المضارع ٤٢

- الفصل والوصل ٤٣

- الإيجاز ٤٩

- الإطناب ٦٢

- حروف الزيادة ٦٥

الفصل الثاني: علم البيان ٨٠

- التشبيه والتمثيل ٨١

- المجاز ٩٢

* المجاز المرسل ٩٦

* المجاز العقلي ٩٨

- الاستعارة ١٠٠

- الكناية والتعريض ١٠٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الثاني: جهود الفراء في البحث البلاغي ١١٤

الفصل الأول: علم المعاني ١١٧
- أسلوب الإنشاء ١١٨
* الاستفهام ١١٨
* الأمر ١٢٣
- التقديم والتأخير ١٢٦
- الخروج على مقتضى الظاهر ١٣٣
* القلب ١٣٣
* الالتفات ١٣٨
* التغليب ١٤٠
* الأسلوب الحكيم ١٤٢
* استعمال الفعل المضارع بمعنى الماضي ١٤٣
- الفصل والوصل ١٤٦
- الحذف ١٥١
- الإطناب ١٧٠
- حروف الزيادة ١٧٩

الفصل الثاني: علم البيان ١٨٧
- التشبيه والتمثيل ١٨٨
- المجاز ١٩٧
* المجاز المرسل ١٩٧
* المجاز العقلي ٢٠٠
- الاستعارة ٢٠٤
- الكناية والتعريض ٢٠٩

الفصل الثالث: علم البديع ٢١٤
- الفواصل القرآنية ٢١٥
- المشاكلة ٢٢٨
- التوجيه ٢٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit